المناظرة فعالية حوارية حجاجية

الدكتورة: بصالح خديجة

المركز الجامعي عين تموشنت ـ الجزائر

إن نظرية الحجاج مبحث يختص بدراسة الفعالية الحجاجية، وهي فعالية لغوية اجتماعية وعقلانية، غايتها إقناع المعترض العاقل بقبولية رأي من الآراء، وذلك عبر تقديم جملة من القضايا المثبتة أو النافية لما ورد في هذا الرأي من قضايا. ويتميز مبحث الحجاج بكثرة الحقول المعرفية التي تتناوله كالفلسفة والمنطق واللسانيات ونظرية التواصل، كما يتميز بتعددية الأنماط التي منها المناظرة التي تعد آلية حجاجية. فعلى ماذا تتأسس المناظرة؟ وماذا يُشترط فيها؟ وهل يمكن أن تكون المناظرة وسيلة إقناعية قائمة على أصول علمية أم قائمة على أصول ذاتية فنية؟

الكلمات المفتاحية: الحجاج، الإقناع، المناظرة، الاستدلال، الفلسفة، المنطق، اللسانيات، نظرية التواصل.

Abstract

The argumentative theory is specialized in studying the effectiveness of argumentation. It is a social and rational linguistic activity whose purpose is to convince the reasonable objector to view acceptability of the opinions, by presenting a number of issues that are proven or exempt to the opinion expressed in the issues. The argumentative subject is characterized by a large number of fields of knowledge, which deal with philosophy, logic, linguistics and communication theory. It is also characterized by the plurialism of patterns, including the theory, which is an argumentative mechanism. What is required? Can theory be a persuasive tool based on scientific or self-artistic assets?

Keywords: Argumentation, persuasion, proven, exempt, theory, assets, scientific, mechanical

لقد تقرر أن كل منطوق به يتوقف وصفه بـ"الخطاب" على أن يقترن بقصد مزدوج يتمثل في تحصيل الناطق لقصد **الادعاء** وتحصيل المنطوق له لقصد **الاعتراض**، بالإضافة إلى

تاريخ تسليم البحث: 13 سبتمبر 2015.

تاريخ قبول البحث: 15 ديسمبر 2016.

تحصيل الأول لقصد التوجّه إلى الثاني وقصد إفهامه معنى ما، فاعرف أن المنطوق به الذي يستحق أن يكون "خطابا" هو الذي يقوم بتمام المقتضيات التعاملية الواجبة في حق ما يسمى بـ"الحجاج"، إذ حد الحجاج أنه "كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها"[1] وهكذا يتضح أن حقيقة الخطاب ليست هي مجرد الدخول في علاقة مع الغير، وإنما هي الدخول معه فيها على **مقتضى الادعاء والاعتراض.**

بمعنى أن الذي يحدد ماهية الخطاب إنما هي "العلاقة الاستدلالية" وليس "العلاقة التخاطبية" وحدها، فلا خطاب بغير حجاج، ولا مخاطب من غير أن تكون له وظيفة "المدعي" ولا مخاطب من غير أن تكون له وظيفة "المعترض".

وإذا ثبت أن "الحجاج" هو الأصل في الخطاب، ثبت أيضا أن العلاقة الاستدلالية هي علاقة أصلية يتفرع عنها سواها ولا تتفرع عن سواها، فإذا تضمن الخطاب علاقة تخاطبية فيجب إذن ردها إلى العلاقة الاستدلالية، فالتوجه إلى الغير لازم من لوازم الادعاء، فلا يدعي إلا من يتوجه، كما أن الفهم لازم من لوازم الاعتراض، فلا يعترض إلا من فهم، والشاهد على ذلك ما يختص به اللسان العربي من استعمال لفظ واحد للدلالة على معنى "القصد" ومعنى "الاستدلال" معا، وهو بالذات الفعل "حجّ" الذي يفيد "القصد" في قولنا "حج البيت الحرام" كما يفيد "غلبه بالحجة" في قولنا "حاجه، فحجّه"[2]

أنواع الحجاج:

1- **الحجاج التجريدي:**

وهو الإتيان بالدليل على الدعوى على طريقة أهل البرهان، علما بأن البرهان هو الاستدلال الذي يعنى بترتب صور العبارات بعضها على بعض بصرف النظر عن مضامينها واستعمالاتها.

2- **الحجاج التوجيهي:**

هو إقامة الدليل على الدعوى بالبناء على فعل التوجيه الذي يختص به المستدل، علما بأن التوجيه هو فعل إيصال المستدل لحجته إلى غيره، فقد ينشغل المستدل بأقواله من حيث إلقاؤه لها ولا ينشغل بنفس المقدار بتلقي المخاطب لها، ورد فعله عليها، فنجده يولي أقصى عنايته إلى قصوده وأفعاله المصاحبة لأقواله الخاصة، غير أن قصر اهتمامه على هذه القصود والأفعال الذاتية يفضي به إلى تناسي الجانب العلائقي من الاستدلال، هذا الجانب الذي يصله بالمخاطب ويجعل هذا الأخير متمتعا بحق الاعتراض عليه، كما يفضي به إلى تقديم وحدة الجملة على وحدة النص وجعل الأولى مستتبعة للثانية.

3- **الحجاج التقويمي**: المقصود به إثبات الدعوى بالاستناد إلى قدرة المستدل على أن يجرد من نفسه ذاتا ثانية ينزلها منزلة المعترض على دعواه، وهنا لا يكتفي المستدل بالنظر في فعل إلقاء الحجة إلى المخاطب، واقفا عند حدود ما يوجب عليه من ضوابط وما يقتضيه من شرائط، بل يتعدى ذلك إلى النظر في فعل التلقي باعتباره هو نفسه أول متلق لما يلقي، فيبني أدلته أيضا على مقتضى ما يتعين على المستدل له أن يقوم به، مستبقا استفساراته واعتراضاته ومستحضرا مختلف الأجوبة عليها ومستكشفا إمكانات تقبلها واقتناع المخاطب بها[3].

وهكذا فإن المستدل يتعاطى لتقويم دليله بإقامة حوار حقيقي بينه وبين نفسه، مراعيا فيه كل مستلزماته التخاطبية من قيود تواصلية وحدود تعاملية، حتى كأنه عين المستدل له في الاعتراض على نفسه.

آليات الحجاج:

1- **الإخبار:** من الخبر وهو ما يصح أن يدخله الصدق أو الكذب، وهو لفظ يدل على علم في نفس المخبر.

2- **التفسير**: يحتاج الموضوع الذي يطرح إشكالية أو قضية كما هو الشأن في المناظرة أو الخطبة في انجازه إلى أساليب للتفسير تساهم في توضيح أبعاده ودلالته، وتجعل المتكلم قادرا على الشرح والتوضيح لخصمه أو من يناظره لغرض الإقناع، وأهم أساليبه التعرف، الوصف، المقارنة والسرد.

3- **الإقناع**: وبواسطته تستخدم حجج وبراهين للدلالة على صحة الموقف الذي يدافع عنه المتناظرون والخطيب اعتمادا على أدلة ملموسة من الشواهد أو أدلة تعتمد على مبادئ منطقية. وللإقناع ضوابط بدونها لا يحصل التسليم بالرأي. ومن وسائل الإقناع وسائل لغوية ووسائل منطقية دلالية، ومن أهم عناصرها:

- القياس المنطقي الذي يعتبر بنية أساسية في الحجاج ووظيفته الانتقال مما هو مسلم إلى ما هو مشكل.

- وكذلك من عناصرها الأحاديث النبوية والآيات القرآنية أو المقولات الفلسفية أو العلمية وحجج واقعية، أما الوسائل اللغوية فمن أهم عناصرها:

- التوكيد والشرط والنفي والتكرار اللفظي والمعنوي والسجع والتوازن الصوتي والطباق...[4]

المناظرة آلية حجاجية:

1- **مفهوم المناظرة:** لغة واصطلاحا.

جاء في لسان العرب"...التناظر التراوض في الأمر، ونظيرك الذي يراوضك، وتناظره وناظره من المناظرة، والنظير المثل، وقيل المثل في كل شيء، وفلان نظيرك أي مثلك، لأنه إذا نظر إليهما الناظر رآهما سواء، ونظير الشيء مثله........[5]

- إذن المناظرة في اللغة مأخوذة من "النظير" أو من "النظر" بمعنى الإبصار أو الانتظار، وفي الاصطلاح هي النظر بالبصيرة من الجانبين المعلل والسائل بغرض إظهار الصواب. [6]

- وتعتبر المناظرة حوارا بين شخصين أو فريقين، يسعى كل منهما إلى إعلاء وجهة نظره حول موضوع معين، والدفاع عنها بشتى الوسائل العلمية والمنطقية واستخدام الأدلة والبراهين على تنوعها، محاولا تفنيد رأي الطرف الآخر، وبيان الحجج الداعية للمحافظة عليها أو عدم قبولها.[7]

إذن: فالمناظرة هي كل خطاب استدلالي يقوم على المقابلة والتفاعل الموجه، وهي نوع من الجدال للوصول للحق والصواب.

علم المناظرة علم عربي أصيل يختص بدراسة الفعالية التناظرية الحوارية من خلال تقعيد قواعدها المنطقية وشروطها الأخلاقية بقصد تطوير أسلوب المباحثة التي تتم بين طرفين يسعيان إلى إصابة الحق في ميدان من ميادين المعرفة، حيث يواجه كل طرف في الطرف الآخر بدعوى يدعيها ويسندها بجملة من الأدلة المناسبة مواجها في ذلك اعتراضات الخصم، وبالتالي يعد فن المناظرة الأسلوب الأرقى الذي يخدم الأطراف في إيصال أفكارهم.

أهمية المناظرة:

تظهر أهمية المناظرة في صقل مواهب المتعلم وتعويده إتقان فنون القول والجدل الرامي إلى بلورة الرأي في إطار احترام الآخر ولو كان مخالفا.

عناصر المناظرة:

المناظرة رسالة اتصالية متكاملة الأركان، لها عناصر يجب توافرها في عملية الحوار والمناظرة، وهي خمسة عناصر:

1- المرسل: وهو شخصية المحاور أو المناظر الذي يدير عملية الحوار.
2- المستقبل: شخصية الطرف الآخر للمناظرة.
3- بيئة الرسالة: توفر الجو الهادئ للتفكير المستقل.

4- مضمون الرسالة الاتصالية: معرفة المتناظرين لموضوع المناظرة.

5- أسلوب الحوار: يتجلى في مناهج الاتصال وأدواته والقواعد والهدف من المناظرة: [8]

اتجاهات المناظرة:

على المناظر أن يكون دقيقا ومنتظما أثناء معالجته موضوع المناظرة وبالتالي عليه أن يتبع الخطوات التالية:

- تحديد المشكلة والقدرة على صياغتها.
- فرض الفروض: ويفضل أن تكون الفروض واقعية.
- التقسيم والتصنيف لموضوع المناظرة.
- تناول الأدلة: وهي أهم مادة في عملية المناظرة وهي نوعان:

أ- دليل نقلي: ويتعلق بالاقتباس والاستشهاد من الكتاب والسنة وأقوال العلماء والمفكرين.

ب- دليل عقلي: ويكون من المنطق والحجة على حد قولهم:

" إن كنت ناقلا فالصحة وإن كنت مدعيا فالدليل " وتحتاج الأدلة للتحليل والتفسير.

- - التعميم: إذ ينبغي التحفظ على بناء التعميم كإطلاق دون قيد أو تعميم دون تخصيص، ويتجنب كذلك ألفاظ الجزم والقطع في القضايا الخلافية ذات الأبعاد الاجتماعية والثقافية.

قواعد وأسس المناظرة:

لقد وضع العلماء لفن المناظرة شروطا وقوانين تنافس في استيفائها وضبطها وصرامتها وترتيبها ضوابط المنطق وأحكامه باعتباره علما لقوانين العقل ومن بينها:

- وجود متناظرين.
- وجود دعوى أو ادعاء.
- تخلي كل من الفريقين المتناظرين عن التعصب لوجهة نظر سابقة، وإعلان الاستعداد التام للبحث عن الحقيقة والأخذ بها.
- تقيد المتناظرين بالقول المهذب البعيد عن الطعن أو التجريح أو السخرية لوجهة نظر الخصم، والالتزام ببناء المناظرة وطريقة الحوار المعتمد على أسلوب الإقناع والبراهين والابتعاد عن الجدل قطعيا، وأن تكون الحقيقة هي الغاية والهدف النهائي في المناظرة التي على الجميع التسليم بها وتقبل نتائجها. [9]

- فيتبين أن المتكلم ليس ذاتا مجردة للتبليغ، وإنما هو ذات محمولة على التهذيب، فلا يرتقي المبلّغ مرتقى المتكلم، حتى يكون في قوله مهذبا، ولا تهذيب بغير فتح باب انتفاع المستمع بالفائدة المبلغة.

- التزام الطرق الإقناعية الصحيحة كتقديم الأدلة المثبتة للأمور وإثبات صحة النقل لما نقل (ذكر المصدر).

- عدم التزام المناظر بضد الدعوى التي يحاول إثباتها لئلاّ يحكم على نفسه برفض دعواه.

- عدم التعارض والتناقض في الأدلة المقدمة من المناظر.

- أن لا يكون الدليل المقدم من المناظر ترديدا لأصل الدّعوى.

- عدم الطعن في أدلة المناظر إلا ضمن الأمور المبنية على المنطق السليم والقواعد المعترف بها لدى الفريقين.

- قبول النتائج التي توصل إليها الأدلة القاطعة والمرجحة.

فوائد المناظرة:

للمناظرة فوائد عديدة على المستوى التعليمي، تفوق في آثارها كثيرا من الأنشطة التعليمية الأخرى، ومن الآثار الإيجابية للمناظرة:

- الوصول إلى وضوح الرؤية حول قضية ما لإيجاد قناعة مشتركة حولها.

- الابتعاد عن الأحكام التجريدية في قضايا الواقع.

- التعمق في دراسة أبعاد القضية وخلفياتها مما يؤدي إلى شمول النظرة وسعتها.

- التدرب على أصول الحوار وتنظيم الاختلاف والتأدب بآدابه الذي يحيل إلى تدريب الغير تقليدي على التحدّث باللغة العربية.

- تنمية مهارات التخاطب اللغوي وإجادة الحديث.

- اكتساب المعارف وذلك بدخول أنشطة مساعدة لإتمام عملية المناظرة مثل: القراءة، التفكير، التخاطب، القدرة على بناء الحجج، التقويم الذاتي.

- تساعدنا المناظرة على ترسيخ عملية التعلم وخاصة الناحية اللغوية.

- تنشيط رغبة الباحث (المناظر) في التحصيل والتعلم الذاتي، إذ يصدر هذا التحصيل عن رغبة تجعل المناظر يؤمن بالتعدد في الآراء.

- استخدام الأدلة والحجج مما ينمي مهارة التدقيق اللغوي ويؤدي إلى امتلاك قدرات التأثير والإقناع من خلال أساليب محكمة وأفكار عميقة.

- صقل مهارات التعبير وتجميع الأفكار وانتقائها واستدعائها حين يلزم الأمر. 10

أنواع المناظرة:

تتفرع المناظرة إلى نوعين:

1- **المناظرة الواقعية:**

وهي تحاور أو جدل قائم بين اثنين أي شخصين من أهل العلم من قطاعات مختلفة، كالمناظرة التي جرت بين أبي سعد السيرافي النحوي ومتى بن يونس الفيلسوف.

2- **المناظرة الخيالية:**

تقوم في محورها وأساسها على اصطناع مناظرة من خيال مؤلف بإضفاء التشخيص على المتناظرين مثل ما فعل الجاحظ حين صاغ مناظرته المتخيلة على ألسنة الحيوانات المتخاصمة وأراد منها ابراز ذلك الصراع الخفي والعميق بين العرب والأعاجم.[11]

وهكذا كانت تلك المناظرات مرآة عاكسة لحياة الشعوب وعاداتهم وتقاليدهم ومجتمعاتهم. كما هي كل خطاب استدلالي يقوم على المقابلة والتفاعل الموجه، وهي نوع من الجدل القائم على البرهنة والإقناع والاستدلال للوصول إلى الصواب.

مراجع البحث وإحالاته:

1- طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ط1، 1958، المركز الثقافي العربي، ص 226.

2- المرجع نفسه، ص ن.

3- المرجع نفسه، ص 227-228.

4- السيوطي جلال الدين: صوت المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام، دار الكتاب العلمية، بيروت، ص187.

5- أبو الفضل جمال الدين بن منظور: لسان العرب، مادة "نظر".

6- علم الأدب: فن المناظرة موقع: http. wwwawkaf. net. islamichoocks.... elm

7- المرجع نفسه.

8- عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة: ت السيد محمد رشيد رضا، القاهرة، ص 143، 146.

9- طه عبد الرحمن: اللسان والميزان، ص 223.

10- الموقع: http. wwwawkaf. net. islamichoocks.... elm

11- المرجع نفسه.